الفصل الثالث
السينما المصرية من التأميم
حتي انتهاء المرحلة الناصرية

حتى سبتمبر ١٩٦٢ لم يكن هناك أى تفكير فى أن تتولى الدولة مهمة الإنتاج السينمائى أو أى تفكير فى تأميم السينما خاصة وأن دوافع الحكومة للتأميم لم تجد لها مجالا فى ميدان السينما . وفجأة وبدون تخطيط واضح أو طريقة مدروسة قامت الدولة بتأميم السينما والاشراف على انتاجها وتوزيعها وعروضها بحجة خطورة سيطرة قلة ممن لا تتمشى مفاهيمهم مع الاشتراكية على مجال السينما ، وبحجة أنّ السينما تلعب دوراً مهماً فى التأثير على الوعى القومى وأنه يجب أن تساير مفاهيمها النمط الاشتراكى الذى يتناول قضايا الإنسان المصرى ومشاكله ، والذى يحرص على تقديم كل ما هو مفيد له . ومن هنا دخلت الدولة كطرف فى العملية الإنتاجية ، ودخل القطاع العام فى السينما كصناعة لها ملامح وتوجيه سياسى وايديولوجى .

ومع أن الأمل قد راود الكثيرين فى أن ينهض هذا التغيير بصناعة السينما وأن يكون فى إنشاء مؤسسة السينما الأمل فى تطوير الإنتاج السينمائى وادارته بطريقة رشيدة فان ما حدث كان عكس ذلك تماما حيث تعرضت مؤسسة السينما لمشاكل عديدة نتيجة للتخبط فى سياستها وعدم امتلاك أيديولوجية واضحة مما أسهم فى هبوط المستوى الفنى للأفلام وقتل روح الإبداع والتطور نتيجة للدواعى المرتبطة بالسياسة ومحاذيرها ومنطق الخوف السائد بين السينمائيين [١] .

---

(١) اعتدال ممتاز : مذكرات رقيبة سينما ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٥ ص ١٨٠ .

ونتيجة لذلك تعرضت السينما لخسائر باهظة ، وتضاعفت ديونها وتضخمت العمالة فيها خاصة فى الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦ (١) ، وبدأت الخسائر تتوالى عليها عاما بعد عام .

وفى محاولة لإنقاذ الموقف تم إدماج مؤسسة دعم السينما (٢) فى المؤسسة المصرية العامة للسينما والاذاعة والتلفزيون تحت اسم المؤسسة المصرية العامة للسينما والهندسة الإذاعية (٣)

وخلال تلك الفترة كانت هناك ندرة فى الأعمال السينمائية التى استطاعت التعامل مع المعطيات نتيجة لعدم وضوح الرؤية وصعوبة موافقة النظام على مناقشة موضوع الاشتراكية كتجربة تحتمل الصواب والخطأ ولذلك انحصرت الأفلام فى الدعاية لنظام الحكم إما بايعاز منه أو من منطلق الإيمان الحقيقى به .

فظهرت أفلام تتطرق إلى الوحدة العربية وإلى أن عبد الناصر هو صلاح الدين العرب ومن هذه الأفلام فيلم « الناصر صلاح الدين » الذى عرض فى عام ١٩٦٣ . كما ظهرت أفلام تدعو إلى العدالة الاجتماعية وضرورة إنقاذ الفقراء مثل « اللص والكلاب (٤) » الذى عرض فى عام ١٩٦٢ وأدان المخرج فيه الظلم الإجتماعى الذى وقع على الناس قبل الثورة ، وبشر

---

(١) ثروت عكاشة : مذكراتى فى السياسة والثقافة جـ١ ، القاهرة ، دار الهلال ، الطبعة الثانية ١٩٩٠ ص ٤٨٤ – ٤٨٨ .

(٢) تأسست فى عام ١٩٥٧ .

(٣) تأسست بجانب هذه المؤسسة ست شركات سينمائية للإنتاج وتوزيع عرض الأفلام ثم انحصرت بعد ذلك فى اثنتين واحدة للتوزيع والأخرى للعرض كما أنشئت الشركة العامة للإنتاج السينمائى العربى ، وشركة القاهرة للسينما .

(٤) قصة نجيب محفوظ .

بالاشتراكية وأشار الى دور الفقر فى دفع بعض الشباب إلى السرقة رغبة فى تلبية احتياجاتهم الضرورية وإلى دوره أيضا فى اضطرار إحدى الفتيات الى أن تبيع جسدها كى تعيش .

ومنها فيلم « صراع الأبطال » الذى عرض فى عام ١٩٦٢ أيضا ، وتعرض للمعتقدات البالية فى الريف المصرى وانتشار الفقر بين أفراده ، وسطوة الاقطاع على مقدراتهم وانتشار الأمراض بينهم نتيجة لسوء التغذية .

ومنها فيلم « الحرام » الذى عرض فى عام ١٩٦٥ عن قصة يوسف ادريس وتعرض لبؤس عمال التراحيل ، وانتهى بأن الحل الاشتراكى هو السبيل الوحيد للتخلص من هذا البؤس ، وان العدالة الإجتماعية حق مشروع للمواطنين ، ومنها فيلم « القاهرة ٣٠ » [١] الذى عرض فى عام ١٩٦٦ وتعرض لتطلعات الطبقة الدنيا ، وحاجاتها الى ما تسد به رمقها كما أدان الفساد فى عهد ما قبل الثورة ، وانتهى إلى أن الطريق الوحيد لحل مشاكل الجماهير هو تحقيق الاشتراكية .

واستمرت الأمور على ذلك المنوال حتى حدثت هزيمة يونيو ١٩٦٧ التى زلزلت المجتمع المصرى من الأعماق ، وجعلته يفقد وعيه لفترة من أثر الصدمة [٢] وخلال ذلك بدأت وزارة الثقافة تعد خططها لتعبئة الجماهير واعدادها لمرحلة نضالية شاقة وطويلة من خلال عدد من الأفلام السينمائية التى تمجد القيم الروحية ، والشجاعة ، والصبر ، وتقديس الواجب كما برزت الدعوة إلى التصدى للعناصر الانهزامية ، وتوجيه الانظار إلى الحاضر [٣]

---

(١) مقتبس من قصة القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ .

(٢) درية شرف الدين : مرجع سابق ص ٥٨ .

(٣) تأسست فى عام ١٩٦٨ جماعة أطلق عليها جماعة السينما الجديدة ، واستطاعت انتاج فيلمين هما « أغنية على الممر » من إخراج على عبد الرازق ، و « ظلال على الجانب الآخر » من إخراج غالب شعث ولكنها لم تتمكن من مواصلة أعمالها لعدم قدرتها على تسويق أفلامها .

- انظر محمد كامل القليوبى وآخرون : السينما الافريقية والعربية - السينما المصرية دائرة الحصار ومرحلة الخروج - بيروت ، دار الحداثة ١٩٨٤ ص ٣٩ - ٤٠ .

واستيعاب رياح التغير كما ظهر تيار يسعى لعرض بعض احداث تاريخ مصر القومى سينمائيا من خلال قصص وروايات بعض الأدباء المتميزين من أمثال نجيب محفوظ [١] وغيره وإلى جانب ذلك فقد أتاحت الحكومة نوعا من الحرية لامتصاص غضب الناس فرفعت شعار النقد الذاتى . وقد استجابت السينما لذلك وتناولت قضايا أدانت الاتحاد الاشتراكى فى شخص أحد أعضائه . ومن أبرز هذا الأفلام فيلم « ميرامار » .الذى عرض فى عام ١٩٦٩ عن قصة لنجيب محفوظ ، وتعرض لانتهازية مدعى الاشتراكية وعضو الاتحاد الاشتراكى الذى كان يختلس ويقتل من أجل تحقيق أغراضه غير الشريفة ويعد إحدى الفتيات بالزواج ثم يتخلى عنها ويتحول بانتهازية إلى غيرها .

ومع أن هذا الفيلم قد أحدث ضجة كبيرة خاصة وأنه يهاجم الاتحاد الاشتراكى علانية ولأول مرة فقد تم الترخيص بعرضه [٢] نظرا لأن عبد الناصر قد بدأ يضيق ذرعا بأعضاء الاتحاد الاشتراكى الانتهازيين ، ولرغبته أيضا فى امتصاص غضب الجماهير الرافضة للفساد . ومع ذلك التطور

---

(١) نجيب محفوظ هو الأديب الوحيد الذى ارتبطت وظيفته ارتباطا مباشرا بالسينما منذ عام ١٩٥٩ واتيح له ان يترك اثراً قوياً فى هذا الحقل ، وكانت أول قصة له تظهر على الشاشة هى « بداية ونهاية » فى عام ١٩٦٠ أما عن الأفلام التى أخذت من أعماله الأدبية المنشورة قصة أو رواية فتبلغ ٣٥ فيلما ويلى فى الأهمية من هذه الناحية احسان عبد القدوس ، ويوسف السباعى وتوفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى وغيرهم .

– انظر : هاشم النحاس : نجيب محفوظ فى السينما المصرية ، القاهرة المركز القومى للسينما ١٩٨٩ ص ٦ .

(٢) حضر أنور السادات – رئيس مجلس الشعب وقتذاك – عرض الفيلم ووافق على عرضه عرضا عاما فيما عدا جملة « الستات حيوانات » التى كانت موجودة بالنص وطالب بحذفها حتى يتم الترخيص بعرض الفيلم .

– للتفاصيل انظر : اعتدال ممتاز : مرجع سابق ص ١٩١ – ١٩٦ .

والتغير فى السينما المصرية فانها لم تجرؤ على التعرض لهزيمة ١٩٦٧ وحركة الغليان الداخلى وما تلاها من تغيرات كما أن أحدا لم يستطع أن يعبر عن مرحلة الصمود خلال حرب الاستنزاف بل ظلت السينما المصرية فى معزل عن جبهة القتال وكل ما حدث هو أن يوسف شاهين تعرض فى فيلم « الاختيار » والذى أخرجه عام ١٩٧٠ - لمرحلة التخبط والإنهيار التى اعقبت هزيمة ١٩٦٧ والسلبية التى لازمت أوساط المثقفين ، كما تعرض شادى عبد السلام فى قيلم « المومياء » إلى ضرورة استيعاب رياح التغيير عندما ربط بين مأساة بطل الفيلم الذى يتمرد على قبيلته التى تعيش على سرقة آثار الأجداد وبيعها فيبلغ مفتش الآثار القادم من القاهرة بذلك وبين مأساة الانسان المصرى المعاصر الذى يؤمن بضرورة التغيير حتى لا تحطم العواطف ما تبقى للوطن من أمجاد فان احد منها لم يجرؤ على التعرض للهزيمة أو لأسبابها . هذا الى جانب استمرار انتاج الأفلام التى تدعو إلى تكتل الفلاحين وتضامنهم ووقوفهم صفا واحدا أمام الغاصبين الذين يحاولون سلب أرضهم منهم ففى فيلم « الأرض » الذى عرض فى عام ١٩٧٠ تعرض الفيلم لمجموعة الفلاحين الذى تمسكوا بأرضهم التى تهون أى تضحية فى سبيلها ، والتى هى موازية للعزة والكرامة بالنسبة لهم .

وعلى الرغم من كثافة هذه الأفلام الجادة فان السينما المصرية خلال تلك الفترة لم تنج من أفلام الكوميديا الهابطة ، والتى وجدت رواجا ملحوظاً بين الناس فظهرت بعض الأفلام التى تتعرض للجنس والمراهقين والمراهقات مثل « بيت الطالبات » لأحمد ضياء الدين و « شباب مجنون » لنيازى مصطفى و « معسكر البنات » لخليل شوقى ، و « شقة الطلبة » لطلبة رضوان كما أفرزت سينما النكسة أفلاما هزلية مثل « الراجل ده هايجننى » ، و « أجازة غرام » لمحمود ذو الفقار ، و « كرامة زوجتى » لفطين عبد الوهاب ، و « معبودة الجماهير » لحلمى رفله وإلى جانب ذلك فقد ظهر العديد من

الأفلام الهابطة ذات المستوى الركيك مثل « شنبو فى المصيدة » ، و « العتبة جزاز » ، و « شنطة حمزة » ، و « انت اللى قتلت بابايا » ، و « رضا بوند » ، و « عفريت مراتى » ، و « سكرتير ماما » .

وهكذا يتضح أن سينما الستينات تناولت الواقع الاجتماعى لمصر وبشرت بالاشتراكية ، كما قامت بالدعاية للنظام وان لم تستطع التعرض لاحداث مصيرية مثل هزيمة ١٩٦٧ .

وإلى جانب ذلك فقد انتشرت بعض الأفلام الهابطة المستوى ، وكانت المحصلة النهائية لكل ذلك عدم ازدهار سينما وطنية معاصرة تواكب الأحداث والتطورات خاصة وأن عنصر الخوف من السلطة قد أدى بالسينمائيين الى التقوقع وقتل روح الابداع لدى المتميزين منهم ونتيجة لذلك انحدر مستوى السينما فى ظل القطاع العام وهبط المستوى الفنى للأفلام .

وفى محاولة من الدولة للنهوض بمستوى السينما والعودة بها إلى ما قبل الستينات بدأت بتصفية القطاع العام للسينما فى منتصف عام ١٩٧٠ ، وتأجير دور العرض التابعة له ، وانشاء هيئة عامة للسينما والموسيقى والمسرح .